

«نهب وادي الرافدين» كتاباً فريداً ومميّزاً وشهادة مؤثرة للشاعرة البريطانية جيني لويس

البحث التاريخي الخاص يتحوّل إداة للحرب ورفضاً للاستعمار الذي دمر بلدان الحضارة الأعرق

كتبت أمل الجبوري: التاريخ منجم كبير لقراءة سيكولوجية الشعوب، وأداة معرفية للخروج من الأزمات، للإجابة ليس عن أسئلة تتعلق بالماضي فحسب، بل عن أسئلة تبحث عنها أجوبة المستقبل. فإذا فهم التاريخ ضمن السياق المعرفي البحثي النقدي وضمن إطار الأنثروبولوجيا فإنه يكون آلية مهمة لأي بلد يريد الارتقاء إلى مرحلة الإنسانية التي يتساوى فيها المواطنون في كل شيء وتسود العدالة، ويكون القانون هو الفصل الذي يصون هيبة الدولة مانحاً إياها ضميراً لا يعرف ثقافة الإقصاء والتمييز أيًا يكن نوعه. التاريخ أيضاً يفتح أرواحنا على مناطق في مواضيع شائكة ومعقدة لا نرى منها سوى لون واحد أو لون ضبابي. لكن العين الأخرى للشاعر الرائي الباحث عن الحقيقة وحدها من دون أن يكون أسير وهم أو أسير نظرية أو موقف تحريضي مسبق، ستجد بالتأكيد في كل قصة مهما كبر أو صغر حجمها مساحة لمراجعة الذات، ومراجعة فعل شنيع مثل شن

الحرب مثلاً على شعب تحت أي غطاء.

إن العقل المحاييد سيفخر معاملة الإعلام والسياسة ورجال الدين، تلك المعادلة التي تتعزّز على جوهر إمساك الجميع بالحقيقة غير موجود على الإطلاق.

جيني لويس شاعرة بريطانية فقدت والدتها ولم يكن عمرها يتجاوز الأشهر، لكنها قبل أعوام قليلة قررت أن تبحث عن أي أثر لوالدها في بلاد الرافدين بعدما وجدت في كتابات أبنائها اليوما من صور صادرة كان التقطها بكاميراه بين عامي 1914 و1916 ولماكن عديدة في العراق مثل القرنة والمعارة

ورحلة البحث بدأتها في قيد الجيش البريطاني للحروب التي خاضها خارج المملكة المتحدة، ومن خلال سجله العسكري في هذا الأرشيف. واستمرت رحلة البحث لتتمد أعواماً إلى مبنى دائرية الوثائق البريطانية الذي يحوي متحفاً مهما يضم ويؤرشف حتى للعلاء من البريطانيين أو غيرهم من الجنسيات، لكي يطلع الرائي العام على حقب التاريخ البريطاني ومراميل تشكل بريطانيا العظمى عبر العصور حتى الوقت الحاضر.

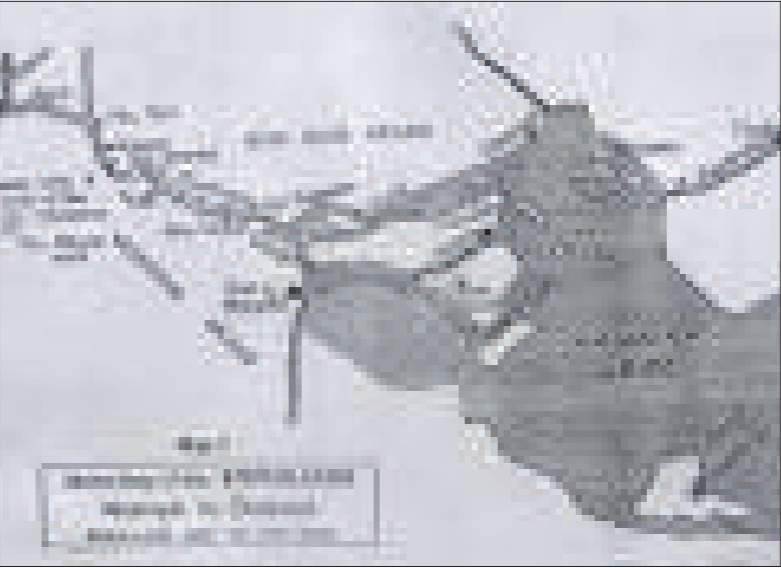
كلما وجدت الشاعرة شيئاً فإنه يعزز قناعتها بأن السبب الحقيقي وراء خوض الحروب من قبل الدول الكبرى هي المصالح الاستراتيجية، وتحديد الأقتصادية، العبود الفكري لأي سلطة. ويبدو ذلك جلياً في أحد اعترافات اللورد غري فالدون الذي يشير إلى العراق وعملية الاستيلاء على تلك المنطقة آنذاك (1919) بـTaking Mesopotamia.

هذه العبارة استعارتها جيني لتكون عنوان كتابها الذي ضم جزءاً من هذه الشهادات المتقاطعة زمنياً، غُذ بدأت بملحمة جليجامش، مروراً بالتدخل العسكري الأول للبريطانيين في بلاد الرافدين، وبعض مذكرات الضباط البريطانيين الذين شاركوا

في تلك العمليات العسكرية حتى الوقت الراهن التي تمتاز في شهادات بعض العراقيين الذين أجرت معهم الشاعرة لقاءات عديدة بعضها أصبح جزءاً من رحلة البحث الشعرية هذا مثل الشاعر المبدع عدنان الصائغ الذي حرّز بعض الترجمات العربية لهذه النصوص. ثم تطور مشروع جيني إلى ورشة أدبية تعيد رحلة التامل في تصريحات الرافدين ودراسة نصوصها الأدبية وتحديدًا نص ملحمة جليجامش المشهورة وهي الآن محور أطروحة دكتوراه للشاعر إذ تعيد صوغ ترجمة جديدة لهذه العمل الإنساني الذي تقرد له شعوب العالم مساحة مهمة في مناهجها التدريسية في حين ينظر إليه أحد وزراء الثقافة في العراق بعد 2003 على أنه عمل فيه استباحة للذوق والأخلاق العامة إذ يشير إلى سيديوري وقصة الحانة. أمر محزن أن يختزل عمل آثار الجدل العالمي بمناظر أصولية في ثنائية الحلال والحرام، ليس لكونه أقدم نص أدبي معروف في تاريخ البشرية فحسب، إنما لكونه نصاً يشير إلى كل فردنا في هذا العالم.

شارك في هذا الدورة هواة بريطانيون تختلف أعمارهم، وبيئهم من لا يتجاوز عمره الأحد عشر عاماً. المفارقة أنني لم أجد أي مشارك من العراقيين المقيمين هنا في لندن.

ولدت هذه الورشة بنصوص بعضها يشكل قراءة وتأملاً جديدين الى عشتار أو نجمة

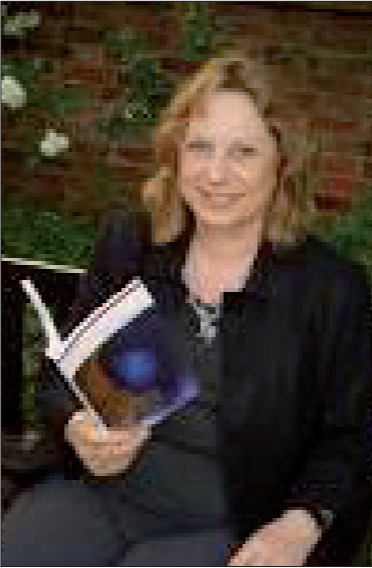


الليل، أو لليل، أو بابل، ليعيد صوغ أحلام سومريعيون عشايق المتحف البريطاني. هذا المشروع الذي تبني نشر كتاب «نهب وادي الرافدين» (هكذا أحببت أن أترجم العنوان) اشتمل على نصوص تسجيلية شعرية تكشف زيف الحروب كلها وعدم مشروعية الموت والسياسة التي تغتال الأعلام وتحمّوذاكرة الإنسانية بتناسل حروب الرهائن التي تمتاز في شهادات بعض أخرى في مكان وزمان مختلفين أو ربما المكان نفسه مثلما حدث في عودة البريطانيين إلى وادي الرافدين عام 2003 يساندون حليفهم التاريخي المتمثل بالإمبركيين. لكن قصة جيني لويس حينما تجاوزت رحلة البحث الشخصي إلى رحلة إبانة الحرب وتسجيل شهادات الناجين منها أو لضحايا ممن أكلتهم هذه الحرب سواء بالتهجير أو المنافي، أو فقدان الأمل بعراق مدني متصالح بهذا السعيح الاجتماعي المتنوع كسجادة كاشان لا تشيع أبداً، فإنها بدأت تدفع آخرين للبحث عن هذا التاريخ النادرة وإعادة إحيائه ولو بالحوار والحديث بصوت عال عن ذاكرة لا بد من راسناتها مجدداً.

إنما ضروري قراءة أخرى لتلك النصوص وعرضا تاريخياً لقصة الشاعرة البريطانية في مكتبة الأرشيف البريطاني قبل أيام، إذا باحد الحضور من الجمهور البريطاني (عرفت بعد ذلك أنه من كبار موظفي وزارة الخارجية)، يعلق قائلًا إن جده أيضاً كان أحد الضباط البريطانيين الذين خدموا في وادي الرافدين أثناء فترة الاحتلال البريطاني الأول للعراق، وراح يطلّعا من مائة الخليلوي مع بعض الصور النادرة التي التقطه جده مثلما فعل والد جيني تماما. علقت قائلة لهما إنها أيضاً قصة العراقيين. فمن خلال العيون

البناء

البحث التاريخي الخاص يتحوّل إداة للحرب ورفضاً للاستعمار الذي دمر بلدان الحضارة الأعرق



الأخرى ثمة قراءة مختلفة للحوادث. ثمة توثيق مصور للحياة في المدن العراقية لا يحويه حتى أرشيف الدولة العراقية اليوم. إنن هي دعوة لفتح حوار حول تلك الفترة لكي يعاد فهم جزء من تاريخ المنطقة والعراق تحديداً، قراءة موضوعية تتجاوز التناول السطحي بعيداً عن ثنائية العدو/المستعمر والصديق/الإمبريالي. نريد قراءة تاريخ المرحلة الأولى لولادة الدولة العراقية على يد البريطانيين ضمن مقاربة موضوعية نقدية لمرحلة ما بعد 2003 اي دراسة احتلالين أجنبيين لأرض الرافدين، وما تلاهما من تغييرات ديموغرافية وسياسية. ربما نصل إلى قراءة مغايرة لكتب الرافدين، وما تلاهما من تغييرات ديموغرافية والطائفية والموت، وإن نبداً رحلة ومهمة صعبة قبل كل شعوب المنطقة الا وهي تفكيك «تأميم الدين» التأميم الذي أذل العقل والتاريخ العربي والإسلامي بصورة عامة مذ أخضع السياسيون الانتهازيون ورجال الدين بجمع مذهبهم الدين الإسلامي كي يحكمونا ويسيطلون علينا باسمه لنساق بعد ذلك مثل قطع لاقل ولا أكثر.

إن الشعرية التسجيلية تعيد فهم تشكل العراق كدولة، وتعيد قراءة الشهود في بحث جيني لويس لكي نتعلم من ثنائيات الحب/الكرامية، الخلود/الفناء، الحرب/السلام، والغار/العفران:

«إن أبناء بلاد الرافدين الذين ربما انطلقوا، مع الضيافة الأول لقطف أفضله وهم يقولون،

«من أجل نعم من أجل لا» مسرحية الشكّ والمواجهة على الخشبة الدمشقية

الوصول إلى حل تلك المعضلة.

الحدوة البسيطة في ظاهرها والعميقة في بنيتها الاجتماعية والنفسية والثقافية، استطاعت رفع تلك اللغة التقليدية المحملة عبر الحوار بين الشخوص من كونها وسيلة تواصل غير مجدية إلى محرك أساس للصراع، وبالتالي تمكثوا من مفصلة سلوكياتهم وضبط انفعالهم بحيث توازي التوتر الداخلي لنص «ساروت» ليكون نابضاً بالحياة، خاصة بعد استخدام العامية كخيار صحيح لملاسة الواقع بطريقة مناسبة من خلال مقاربة محلية للشخوص وتكثيفها في الزمان الآتي.

يوضح العرض أن ما شاهدناه من مشاحنات بين الصديق السعيد في حياته الاجتماعية والاقتصادية والأخر الفنان الحساس كان على السكة الصحيحة زماناً ومكاناً من خلال تحقق ذلك عبر رؤية دراماتوجية موقفة لوسيم الشرقي، ما عزز آتية العرض وقدرته على إدهاش الجمهور، رغم ما تفرضه اللغة من غمز وحيرة، فالصديق الممزع من فوقية الآخر وتعاليه وسعادته أحياناً، كان يلف سجائر «التبغ العربي»، ويحضرها لوليمة من الأحاديث والتكريات. أما الآخر فهدوؤه واتزانه مبنيان على رغبة في الفهم وإعادة التواصل القديم لكن عدم الجدوى كانت المنتصرة الأولى والأخيرة.

كما أن اللغة المبرّجة وحمالة الأوجه التي تغفلت في الحوار تؤكد عزلة الصديقين كل في الجبر الذي أراد، فالأول في برج الاملااملا وعدم الأثرات بجمع الثروة والاستقلال عن الرائج والسائد، والثاني في برج الاستقرار المادي مع زوجة وأطفال قارين على جنب السعادة لتكون أمام ثنائية الواقع والخيال وما بينهما من عبث لا ينتهي تابعه الجمهور باهتمام بالغ.

معرض استعاديّ في باريس لمارسيال رايبس ... عالم تشكيليّ جديد يلهمه اليوميّ وأدواته

هذه القطيعة كانت صدمة لعشاق فنه. أما القاد فتساءلوا كيف يمكن الربط بين سنواته الأولى المتسمة بأعمال ساطعة جعلت منه نجما من نجوم الفن المعاصر، وأعوامه التالية التي دخل فيها الفن مثلما يدخل الناس الكنائس، أي في صمت وخشوع؟ هل هو نفسه الذي كان صرح أن «متاجر البريزويك هي المتاحف الجديدة للفن المعاصر» ويصرح اليوم «أعمالي بالنيون ثانوية في علاقتها بعقم رسومي الفنية وأصالتها».

بعد أفلام تجريبية وحياة ماحتجة بين النساء والمخدرات، قرر رايبس الانسحاب من الواجهة والاعتكاف في بيته، ما دفع النقاد والمعارض إلى هجره ونسيانه، ولولا لاجل الأعمال الفرنسي فرنساو بينو صاحب «متحف بينو» في مدينة البندقية، الذي ساند توجهه الجديد، لما وجد رايبس من يهتم بأعماله. ورغم ذلك، لم يتراجع عما اختاره، بل إنه متشبت برأيه، لا يهمن أن تلقى تجد أعماله الجديدة صدى لدى نقاد الفن، ويؤكد أنه يتقهم السلم التريبي الذي أقرته أكاديمية الفنون في القرن السابع عشر. سلم يضع الرسوم التاريخية في المقام الأول، ويتساءل ما إذا كان الفن المعاصر في نهاية الأمر عملية بالغة السهولة لا تحتاج إلى جهد كبير، وفي رأيه أن سيژان وماتيس لا يستحقان الصيت الذي بلغاه. أما هو فكل ما يطمأن أن يعود إلى الفن الفرنسي الأصيل. أن يكون الابن الروحي لنيكولا بوشان (1594 / 1665) وأن يبلغ مستوى يطاول رافاييل، وأن يكون رمز الهجمة المضادة. وفي هذا الصدد يقول: «عندما يشاهد الفنانون الشبان أعمالي، سيفهمون أنه يوجد شيء آخر غير الدوكسا (أي جماع الأفكار المهيمنة التي تساهم في خلق ما يشبه الديانة وتكريسه)، والمقصود بها هنا المؤسسة». ويضيف: «حسبي أن أحظى باحترام خمسة عشر شخصا».



عن البلاستيك، مستعياً عنه بالصور الشمسية والطبع على الحرير. ولما اندلعت حوادث أيار 1968 التي أرادها الفرنسيون ثورة مجتمعية، راجع رايبس فهمه لطبيعية العمل الفني وندد بتهاويه إلى مستوى الضاعة، فأحدث في مساره ثورة جمالية لم يسبق لها مثيل في تاريخ الفن إلا ما ندر، إذ اتجه في البداية إلى الفن السيمائي فأخرج أفلاماً تجريبية مثل «كامبير لايد» و«الانطلاقة الكبرى». ثم أقبل على رسم المناظر الطبيعية والطبيعية المبتة ومشاهد من الحياة اليومية على منوال القدامى، إلى جانب النحت باستعمال المواد البسيطة مثل الورق المدعوك وعجين الحجر وورق الكرافت أو البرونز المدوّب.

ثقافة

الكلمة الثقافية



اكتشاف تمثال نادر للإله حدد

في السويداء



كشفت دائرة آثار السويداء، بالتعاون مع جمعية العاديات، عن تمثال نادر للإله حدد، إله الطقس، عُثر عليه في قرية عوس التابعة لمنطقة صلخد، جنوب السويداء. وأوضح رئيس دائرة آثار السويداء حسين زين الدين أن التمثال يعود إلى الفترة الآرامية، أي نحو القرن السابع قبل الميلاد، ويعتبر الثالث المكتشف في سورية، إذ يوجد تمثالان معروفان سابقا، الأول في المتحف الوطني في دمشق وجد في تل الأشعري في محافظة درعا، والآخر في منطقة بيت صيدا في الجولان السوري المحتل. وأشار زين الدين إلى أن التمثال منحوت من الحجر البازلتي ويبلغ ارتفاعه نحو130 سم وعرض نحو 60 سم، لافتا إلى أنه عثر عليه خلال جولة للجنة الآثار في جمعية العاديات على أحد المواقع الأثرية في المحافظة حيث عُثرت على نحت نافر على حجر ضخم مبني في جدار أحد البيوت القديمة في قرية عوس يمثل نورا قربانا على شكل قمر. وبين أن نوعية الحجر موجودة في الجدار حول المنحوتة، ما يعني أنها كانت موجودة في القرية نفسها ويرجح هذا الافتراض وجود أبدة أثرية قديمة جدا إلى الشرق من المنزل الذي عُثرت فيه على المنحوتة ترقى إلى عصور قديمة إما نبطية أو آرامية، وفي حال تم التأكد من أن الحجر جلب من القرية نفسها فهذا يعني أنه مسيحد من خلاله هوية قرية عوس في الماضي وتاريخها وربما تاريخ المناطق المحيطة بها. ولفت زين الدين إلى أن التمثال الذي عُثر عليه في منزل المواطن نايف الكريدي نُقل إلى المتحف الوطني في السويداء، بالتعاون بين دائرة آثار السويداء وجمعية العاديات، إضافة إلى صاحب المنزل الذي سمحح المكافأة المناسبة لدوره في الحفاظ على هذا التراث الوطني من الاندثار وإبلاغه دائرة الآثار عنه. الجدير ذكره أن المنزل الذي عُثر فيه على التمثال بني نحو عام 1914، علما أن قرية عوس قديمة جدا وتعود آثارها إلى العصر الآرامي ورصد فيها أكثر من 10 مواقع أخرى تعود إلى عصور مختلفة من النبطية إلى الإسلامية، وتنتشر في جدرانها مجموعة كبيرة من النقوش والكتابات اليونانية تُورث للكثير من الأبنية والصورح الموجودة فيها، ومن آثارها القديمة معبد يعود إلى العصر النبطي .

قناة «تلاقي» تحتفي يستنها الأولى من خلال معرض كاريكاتوري

دمشق - ميس العاني

اختارت قناة «تلاقي» أن تطفي شععتها الأولى في دار الأوبرا في دمشق عبر معرض في عنوانه «على الهوا سواء» ضم رسوم الكاريكاتور التي رسم نضال خليل وسائد سلوم على مدى حلقات برنامج «صباح التلاقي» لتكون خير شاهد على التفاعل الكبير بين الجمهور والقناة على مدى عام كامل.

قناة «تلاقي» وسيلة إعلامية مضافة للإعلام السوري، وريدف مهم له. بهذا القول بدأ مهن حيدر معاون وزير الإعلام تصريحه، مشيراً إلى أهمية الدور الذي لعبته القناة، خاصة في هذه المرحلة التي تعيشها سورية. وأشار حيدر إلى الإنجاز الجيد الذي حققته القناة على مستوى الرسم الصباحية التي استلهمت فكرة معرض رسوم الكاريكاتور منها، مهمماً القناة والقائمين عليها ووزارة الإعلام والهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون بمرور سنة على افتتاحها. فيما اعتبر ماهر عزاز معاون وزير الثقافة أن قناة «تلاقي» شكلت على مدار عام محطة مضيئة وقدمت مضافة للإعلام السوري ومارست دوراً مهماً خاصة الموجة إلى فئة الشباب.

ونوه عزاز بحضور القناة الدائم في مختلف الفعاليات الثقافية والاجتماعية والحياة اليومية وتكاملها مع المحطات الأخرى بصورة خلّاقة وجذابة.

من ليات الفناء على قناة «تلاقي» من فراغ بل تتويجاً لجهود بذلت قبل كوابرها الشباب التي عملت على تقديم الجديد والمميز، كما بين الدكتور ماهر الخولي، مدير القناة إذ قدم العاملون فيها خلال هذه السنة، كل ما يستطيع في سبيل الوصول إلى مشاهد يرضى عما تقدمه القناة. ولفت الخولي إلى وجود صعوبات اعترضت عمل تلاقي بسبب ولادتها في هذه الظروف الصعبة، مشيراً الى الجهود المبذولة لتجاوزها من دون أن يخفي ضغط الظروف الحالية والحالة النفسية الراهنة لدى المواطن السوري والتي تتحكم في ما يعرض على الشاشة.

عن سبب اختيار الفن الكاريكاتوري طريقة للاحتفال بالسنة الأولى للقناة، أشار الخوري إلى أن ذلك يعود إلى رغبة القناة في تقديم بعض الهجة والابتسامات للجمهور الذي يزور المعرض من خلال لوحات الكاريكاتور التي تمثل المواد الأكثر طراقة وقدرة على رسم البسطة. شكلت رسوم الكاريكاتور التي ضمها المعرض انعكاسا لحالات اجتماعية مختلفة تفوح في حياة الناس ومشاكلهم الاجتماعية، وعن ذلك تحدث رسام الكاريكاتور نضال خليل، مشيراً إلى التحدي الذي خاضه أثناء وجوده في برنامج «تلاقي» صباح التلاقي» بتبنيّ لوحة كاريكاتورية خلال مدة قصيرة على الهواء مباشرة تعكس موضوع الحلقة الذي يمثل حالة اجتماعية معينة. ورأى خليل أن قناة «تلاقي» شكلت فقرة في الإعلام السوري مع مراعاة الظروف المحيطة واعتمدت في انطلاقاتها على الشباب فاستطاعت أن تخلّق معادلة مختلفة لتطبيق شعار «نلتقي لترتقي».

أما الفنان الكاريكاتوري الثاني المشارك في المعرض سائد سلوم فأشار إلى انه نفذ خلال عمله في القناة رسوماً كاريكاتورية تعكس حالة ردود الفعل للناس الذين يشاركون في البرنامج عن طريق «فيسبوك» والمشاهدين والإصناعات والتي كانت تظهر التفاعل بين الناس والقناة. وأوضح سلوم أن شعار القناة «نلتقي لترتقي» شدّه إليها كمشاهد، إضافة إلى آلية العمل في القناة التي تعتمد على طرح الأفكار الجميلة والحوارات السليمة والأفكار التي قد تنتج منها إبداعات فنية.

المذبة ميساء هرمز، إحدى مذيعات برنامج «صباح التلاقي»، أوضحت أن البرنامج سعى خلال عام كامل إلى نقل الحياة الاجتماعية ورسمها بطريقة فرحة عبر الرسومات الكاريكاتورية التي كانت صفة من صفحاتها، مشيرة إلى نية القناة تقديم الجديد وتطوير عملها في خطها المقبل.

